ارتفعْ . فرفعني حتى اقعدني الى جنبهِ . اه (نقلًا عن ابن الشجريّ) — (والثالث) ما اوردهُ ابن الأثير في الكامل (١ : ١٦) قال : روى العلماء عن عليّ بن ابي طالب ان آدم قال لمَّا قُتل هابيل : . . . (البيتان كما اوردهما المسعوديُّ) . فهـذا يدلُّك على ان هذا الشعر كان معروفًا في عهد عليّ ابن ابي طالب

وعندنا ان اقدم شعر انتهى الينا هو نظم زرقاء اليمامة اذا اعتمدنا على ما نقلهُ لنا العرب . وهذا القليل انتهى الينا مصحفًا محرَّفًا ايضًا قال ياقوت في معجم البلدان في مادة يمامة في كلامهِ عن الزرقاء ما حرفهُ :

« ولمَّا نزل بجديس ما نزل قالتْ لهم زرقاء اليمامة : كيف رأيتم قولي ؟ وانشأت تقول :

خذوا خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما قد أرى مِلْ أمرِ (١ مُحْتَقَرُ
اني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ لأمرِ اجتمع الاقوامُ والشَّجرُ

(قال ياقوت) : وهي من ابياتٍ ركيكة . اه . قُلنا : لم يُعتدَّ بتلك الابيات فلم يوردوها ظنًّا منهم انَّها ركيكة وهي ليست كذلك . الَّا انَّها لمَّا كانت من لغة عرب اليمامة وكانت تختلف كثيرًا عن لغة قُريش اعتُبرت ركيكةً اعني بالنسبـة الى لغة قُريش . واما في حدّ ذاتها فهي ليست كذلك . وهذا السبب عينهُ هو الذي اقعـدنا لغات العرب الأقدمين لانها لم تشاكل لغـة قُريش . وما يُقال انهُ من لغات العرب المنقرضين فانهُ جاءنا محرَّفًا مصبوبًا بقالب لغة قُريش . ولنا على ذلك ادلَّة كثيرة لعلَّنا نعود الى ذكرها في مقالة ثانية . والله أعلم

الطائفة الكلدانيَّة والكنيسة الرومانيَّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما برحت الأمَّة الكلدانيَّة منذ دخول الدين المسيحي فيها حتى الآن تعتقد برئاسة بطرس وتخلُف الاحبار الرومانيين لهُ في رئاسة الكنيسة كلها . وقد رسخت هذه الحقيقة

١) مِل الأمر اي مِن الأمر او للأمر

في قلوبهم رسوخاً قوياً حتى ان دخول الهرطقة النسطوريّة عندهم واستمرارهـا مدة اجيال عديدة لم تعبث بهذا الاعتقاد ولهذا تراهم وهم نساطرة يجلّون مدينة رومية عاصمة الكثلكة ويعظّمون احبارها كأنهم لم ينفصلوا عنها ولم تقطعهم من شركتها. فمن وقف على اخبارهم وطالع كتبهم يرَ ان ذلك كان عندهم من الامور البديهيّة التي لم يقع لهم فيها ريب البتّـة حتى ان الاحبار الرومانيّين عندما قبلوهم في شركة الكنيسة الكاثوليكيّة لم يروا داعياً لاصلاح معتقدهم من هذا القبيل

فمن ذلك ما جاء في رسالة كلدان الموصـل النساطرة الى يوليوس الثالث سنة ١٥٥٢ في امر سولاقا فانّهم بعد ان لقّبوا الحبر الاعظم بابي الآباء وراعي الرعاة ونائب المسيح قالوا: « اعلم ايها السيد انّنا عبيدك النساطرة قد اصبحنـا يتامى بلا اب ولا مدبّر . . . وقد وقع انتخابنا على هذا الراهب سولاقا . . . فارسلناهُ اليك متوسّلين ان تسيمهُ لنا بطريركاً » (١. وفي صورة ايمان سولاقا المذكور التي أعلن بها امام يوليوس الثالث يقول: « انني اقبل المجمع النيقاوي الذي حدّد الايمان الصحيح وحرم آريوس وحدد ايضاً انّ الكنيسة الرومانيّة هي كرسي بطرس وام جميع الكنائس فهذا الايمان محفوظ عندنا . . . ونوقر ونمدح الكنيسة الرومانيّة ورئيسها البابا القديس فانهُ مسطّر في كتبنا بان كهنوتنا آتٍ من الكنيسة الرومانيّة ولهذا اتينا لنقبل منكم خمير الكهنوت » (٢

ومما يثبت قولنا ما جاء في ترجمة يابالاها الثالث البطريرك النسطوري الكلدانيّة التي نشرها الاب بدجان. فان هذا البطريرك بالاتفاق مع ارغون ملك المغول كان قد ارسل سفيرًا الى اوربّة راهباً نسطورياً اسمهُ ربّان صوما لاجل عقد التحالف مع الملوك المسيحيين لاسيّما بابا رومية في مسألة سياسيّة وكان البابا حينئـذٍ نيقلاوس الرابع سنة ١٢٨٨ فلمّا وصل السفير الى رومية رحّب بهِ البابا وارسل معهُ هدايا ثمينة الى بطريركهِ مع براءة تخوّل هذا البطريرك تأييد سلطانهِ البطريركي على جميع ابناء المشرق ولم يخطر على بال هذا السفير النسطوري ان يعترض على تداخل البـابا في شؤون كنيسةٍ لا تخصّه بل قبل كل ذلك شاكرًا لانهُ كان متيقناً بان الاحبار الرومانيين لهم الولاية

١) طالع كتاب المراسلات الرسمية بين الكرسي الرسولي والطائفة الكلدانية للاب صموئيل جميل (ص ١٣)

٢) راجع الصفحة ٤٧٨ منهُ

على نصارى المشرق وبطاركتهم وان كانوا نساطرة (١

وكتب ايليا السابع قبل ان يتّحد بالكثلكة الى بولس الخامس سنة ١٦١٠: «والآن ايها الاب انّي احني الرّاس ساجدًا امام عرشك بلا غشّ ولا خداع مطيعًا لك بامر ذاك الذي قلدك المفاتيح فلا انكر الصوت القائل لبطرس: «لك اعطي مفاتيح الملكوت... ولا اعاند كسائر الهراطقة امر الرسل القديسين والآباء الارثدكسيين الذين حدّدوا بان كرسي رومية العظمى لهُ التسلُّط وهو رأس جميع الكراسي. حاشا بل اقرّ بان الكنيسة الرومانيّة هي امُّ الكنائس ومن لا يعترف بذلك فليكن محروماً (ص ٥٢٦)». وقد اجاب البابا بولس الخامس هذا البطريرك بقولهِ: «يسرُّنا الاكرام والتعلُّق البنوي الذي تظهرهُ نحو كرسي الطوباوي بطرس هامة الرسل لاسيَّما لانك تقول بان هذا التعلق قد وجد في كنيستك على الدوام (ص ١٢٣)»

فعلى المنتقد والحالة هذه ان يفحص عن سبب ثبات هذا الاعتقاد في الملّة الكلدانيّة وكيف يتوافق ذلك مع وجودهم في الهرطقة — امّا الاوّل فسببهُ لان كتبهم وطقوسهم ومجامعهم قبل النسطرة وفي اثنائها مشحونة بشواهد صريحة في حق رئاسة بطرس وتخلُّف اساقفة رومية لهُ. وكان من شيم هذه الطائفة التمسك الشديد بآبائها وايمّتها وها نحن ذا نورد قليلًا من هذه الشواهد على كلا الامرين:

١ قال يعقوب افرهاط الملقب بالحكيم الفارسي في اوائل القرن الرابع في المقالة السابعة على التائبين: «وشمعون ايضاً رئيس التلاميذ كان انكر المسيح وحرم وحلف وقال لا اعرفهُ فلمّا قدّم التوبة واكثر من تسكاب الدموع قبلهُ ربنا وجعلهُ اساساً ودعاهُ صخرة بنيان الكنيسة» — وقال مار افرام المعظم في ميمره على العشاء السري: «انك يا شمعون تلميذي لقد وضعتك اساساً للكنيسة المقدّسة دعوتك الصفا سابقاً لكي تحمل جميع الابنية. انت هو فاحص كل الذين يبنون لي كنيسةً على الارض حتى اذا ابتنوا شيئاً رديًا فاساسك يردعهم. انت راس ينبوع تعليمي ورئيس تلامذتي. بك اسقي الشعوب كلها مياه الحياة العذبة التي أُعطيها. اياك انتخبتُ يا بكر تلامذتي لتكون وارثاً كنوزي. اعطيتك مفاتيح ملكوتي وها انت مسلط على خزائني كلها»

(١) راجع ترجمة يابالاها المذكور (الصفحة ٨٤ من الطبعة الثانية)

وصلوات القرض الكلداني مفعمة بشواهد بهذا المعنى منها في تذكار الرسولين بطرس وبولس وتذكار بطرس ويوحنا في الجمعة المعروفة بجمعة الذهب قولهُ: « ايها المهندس الحكيم يا مشيِّد الكنائس بطرس الذي قلده ربّه مفاتيح الكنز الروحي لكي يربط ويحلّ كلّ ما على الارض وما في السماء . . . بطرس رئيس الرسل . . . يا راس التلاميذ شمعون بن يونا الذي عليهِ بنى ربّنا بيعته المؤمنة » — وقال نرسي النسطوري الشهير في الجيل الخامس في ميمره على الانجيليين: « كرز شمعون في البلاد الرومانيَّة بشارةً جديدة . . . خرج اولًا صياد السمك ليصيد الامم فرمى شبكتهُ فاصطاد امّ المدن. رئيس التلاميذ اصطاد مدينة الرئاسة » — وقال ايليا الانباري النسطوري في القرن العاشر في كتاب المئات الفصل الاول من الميمر السادس: « المسيح رئيس الاحبار والوسيط بيننا وبين الآب . . . اختار واقام لهُ على الارض نائبًا للكنائس الشيخَ شمعون بن يونا فدعاه باسمه الصخرة ليكون اساسًا للايمان » — ولهذا المؤلف فصل مطوَّل هذا المعنى لا يسعنا المقام ان ندرجهُ — وقال عبد يشوع الصوباوي في القرن الرابع عشر في كتاب القوانين الكنسيَّة الفصل الاوَّل الجزء التاسع من المجلد الثاني: « ان الطوباوي بطرس حاز السلطان على المسكونة كلها » — وقال معاصره عمرو بن متى الطيرهاني المؤرخ النسطوري في كتاب تاريخهِ عند كلامهِ عن الرسل: « والرئيس عليهم كان شمعون الصفا حافظ كرسي المسيح على الارض »

فاستنادًا الى هذه الشواهد وغيرها التي يضطرّنا ضيق المكان ان نضرب عنها يجوز القول بان الكنيسة الكلدانيَّة لم تشك قط في رئاسة بطرس المقرَّرة في الانجيل المقدَّس. ولهذا اكثرت من المديح لمدينة رومية والاطراء عليها لاعتقادها انَّها دائمًا كرسي هامة الرسل ومركز الرئاسة في بيعة المسيح وبراهين ذلك كثيرة نقتصر على قليل منها

٢ اوَّلها رسالة اغناطيوس النوراني الى الرومانيين التي فيها يبجل هذه الكنيسة ويرفع مقامها فوق سائر الكنائس (المشرق ٣: ٨). فقد وُجدت هذه الرسالة عند الكلدان منذ القديم مترجمةً الى لغتهم وهم يعتبرونها مزيد الاعتبار — وفي رتبهم الطقسيَّة لا يزالون حتى الآن يرتلون في الاحد الثالث من تقديس البيعة: « تقول رومية لقد بُنيت الكنيسة لدهر الداهرين فلا يقهرها الملوك ولا السلاطين — طوباكِ يا رومية الشهيرة مدينة الملوك أمة العريس السماوي التي جُعل فيكِ كما في مينا واعظان حقيقيان

بطرس رئيس الرسل الذي على حقّهِ بنى مخلصنا كنيسته المؤمنة و بولس الرسول والاناء المختار » — وقال نرسي النسطوري في ميمره على القنطيقسطنيّ : « رئيس التلاميذ أُنصبتَ لهُ ام المدن فركّب فيها عيون الايمان كما جُعلت العيون في الراس — وقال طيماثاوس الاوّل البطريرك النسطوري في اوائل الجيل التاسع في رسالته الى مار اتزخا اسقف فنوى : « لرومية المقام الاوّل والرأسيّ من اجل بطرس الرسول » . وفي رسالة لهُ الى اركون المؤمنين في الهند حفظها عبد الله بن الطيب في كتابه المسمى فقه اللغة النصرانيّة قال : « ان قانون البيعة يأمر بان يطيع الدون للأعلى وتنتهي الطاعة من الكل الى فطرك رومية فهو القائم مقام شمعون الصفا » — وقال ايليا الدمشقي النسطوري في الجيل العاشر في كتاب القانون : « هذه هي الفرائض المعتمد عليها والتي يتمسّك بها الرؤساء والعوامّ الشرقيون والغربيون . . . الفريضة الاولى امروا وقالوا ان يكون البطاركة في جميع الدنيا اربعة لا غير . . . وان يكون الرئيس صاحب رومية على ما امر بهِ الحواريون » — وقال ايضاً : « الفطرك الاوّل فطرك رومية لهُ من الكرامة والفضل على سائر القطاركة . واذا سامت الهوفركيا فطركها يصير اليهِ قبل ان يأمر وينهي في كرسيهِ حتى يسلّمهُ ويتبرك منهُ » — وقال ابو الفرج عبد الله بن الطيب النسطوري في اوائل القرن الحادي عشر في كتاب فقه النصرانيّة : « قوانين الثلثمائة والثمانية عشر نقلها ماروثا اسقف ميافارقين بمسألة مار اسحق . . . القانون الثاني في ان القطاركة يكونون اربعة . . . ورئيسهم صاحب رومية كما امر السليحيون »

وقال عبد يشوع الصوباوي في كتاب مجموع القوانين السنهادوسية الفصل الاوّل من البحث التاسع القسم الثاني : « لرومية العظمى أُعطيت البطريركية من اجل العمودين الموضوعين فيها اعني بطرس رئيس الرسل و بولس معلم الامم وهي الكرسي الاول وراس البطريركية . . . ولبيان ذلك هوذا نصُّ القوانين الغربيّة : قانون المجامع المسكونيّة : حتم المجمع المسكوني بان يكون اربعة بطاركة في العالم كلهِ . . . ويكون رئيسهم بطريرك رومية حسب امر الرسل الذي حدّدوه بقوانينهم . . . ومن تجاوز هذا فالمجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم » — وفي الفصل الخامس قال : « كما انهُ يحقّ للبطريرك ان يصنع كلّ ما اراده اذا كان مناسباً في شان الذين هم تحت سلطانه هكذا يحقّ لبطريرك رومية على البطاركة جميعاً كالطوباوي بطرس على المسكونة كلها لان

صاحب رومية يقوم مقام بطرس في الكنيسة كلها ومن تجاوز هذا فالجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم »

وما هو اعجب ان هؤلاء النساطرة عندما يوردون هذه القوانين لا يقولون انها بطلت او أُلغي استعمالها وعندما يبجلون رومية واحبارها لا يقولون انهم الآن قد سقطوا من رئاستهم لحيودهم عن الايمان المستقيم كما احتجّ غيرهم من المنفصلين عن الكنيسة الرومانية بل نرى بعكس ذلك باباي رئيس دير نصيبين المشهور في النسطوريَّة والذي يجلهُ النساطرة ايَّ إجلال يعتبر بطاركة رومية خلفاء بطرس كما سترى

٣ ولقائل ان يقول اذا كان ذلك كذلك فلماذا انفصل النساطرة عن شركة الكنيسة الرومانيَّة وكيف يتوافق اعتقادهم برئاسة الاحبار الرومانيين على الكنيسة وهم بعيدون عنهم محرومون بسلطانهم

نجيب ان من كان لهُ إلمام باحوال هذه الطائفة في وجودها بالنسطرة لا يبرح ان يشعر بما كانوا عليهِ من السذاجة فكانوا يعتقدون بان تمسُّكهم بالنسطرة ليس بحجَّة كافية تعفيهم عن طاعة من تشهد كتبهم بمطلق رئاستهم فلم يحتسبوا انفسهم خارجين عن الكنيسة الرومانيَّة وانَّما يدَّعون بان بُعد بلادهم وصعوبة التوصل الى رومية كانت حاجزًا بينهم وبيننا ولا علم لهم بان الكنيسة الرومانيَّة قد نبذتهم من حضنها فانهم كانوا يجهلون حقيقة ما جرى في المجمع الافسوسي جهلًا فظيعاً . ولا غرو فان استنادهم في هذا الحادث على رسالة ايبيا الرهاوي المتحزب لنسطور الى ماري الفارسي الشهيرة المملوءة زورًا وبهتانًا على كيرلس الاسكندري هي التي اوقعتهم في هذا الوهم المبين . فكانوا يتوهمون ان كيرلس وحدهُ هو سبب حرم نسطور ظلمًا وحسدًا ولهذا انحصرت بغضتهم فيهِ وفي اصحاب الطبيعة الواحدة ولا ذكر لشلستينوس البابا عندهم وفاتهم ان كيرلس انَّما ترأس في المجمع الافسوسي وكالةً عن هذا البابا . وزد على ذلك انهم ليس فقط لم يخاصموا احدًا من الاحبار الرومانيين في هذه الوقائع بل كانوا يتوهَّمون ان القديس لاون البابا انتصر لنسطور والغى المجمع الافسوسي وحرم كيرلس في المجمع الخلقيدوني عند ما حدَّد الطبيعتين في السيد المسيح . قال باباي السابق الذكر في كتابه على اللاهوت والناسوت الميمر الثالث الفصل التاسع : « وديوسقوروس ايضاً الحيَّة المستة ابن اخت كيرلس الافعى المتخلِّف في كرسيهِ وكفره فهؤلاء قد اوقع بهم

الآباء وشذبوهم مع من ارتأى رأيهم وذلك بواسطة خليفة بطرس العظيم لاون العجيب »

وهذا الذي حمل البطريرك ايليا السابع اذ كان بعد نسطوريًا ان يوعز الى ارشدياقونه آدم بان يؤلف كتابًا يثبت فيه بانهم لا يختلفون عن الكنيسة الرومانيَّة الَّا في الطقوس والعرضيَّات. وأرسل آدم الى رومية لكي يقدّم كتابه الى الحبر الاعظم ويناضل عن قضيته هذه. فكتب بولس الخامس الى هذا البطريرك يقول لهُ: « انَّهُ لمن عمل الرحمة الالهيَّة بانهُ بينما كان سلفاؤك وملافنة طائفتك جميعًا قد ظنوا انَّهم كانوا دائمًا في الايمان المستقيم ولم يختلفوا عن الكنيسة الرومانيَّة الَّا في نوع التعبير كما تقول فانت اوَّل من بدأ يشكّ بذلك وطلبتَ الحقّ ولم تركن الى اجوبة ذويك بل اردت ان تستشير هذا الكرسي المقدَّس بتقوى وحكمة وقد قبلنا بكل ترحاب الارشدياقون آدم الذي بعثتَ بهِ الينا وسمعنا قرار ايمانه وتعجَّبنا كيف توهَّم انهُ يقدر ان يوافق اعتقادات هكذا متضاربة. الَّا انهُ غيَّر رأيه وقد ظهر لنا واضحًا من الكتاب الذي وضعهُ بامرك لبيان اتفاق المعتقدين وجلبهُ الينا ومن مجادلاته الطويلة مع اشخاص افاضل بالتقوى والعلم عيناهم لهُ بانهُ لا علم لهُ بالمجامع المقدّسة وهو ايضًا بعد ان ثبت لهُ الامر اقرّ بخلوّ العرض بان نسطور حُرم من الآباء في المجمع الافسوسي (وجه ١٢٣)

فالى هذا الحدّ من الجهل والتناقض يصل كل من حاد عن كنيسة المسيح محجَّة الحق وامثال ذلك كثيرة في الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة (١

ومكث النساطرة على هذه الحال حتى دخل بينهم المرسلون الرومانيون ورفعوا برقع الوهم عن عيونهم وانذروهم بحقيقة الامور فكنت تراهم كمن افاق من سبات طويل يوجهون الحاظهم الى مركز الكثلكة واحبارها طالبين منهم بتلهُّف الانضمام الى شركة

---

١) ان ما قلناهُ عن النساطرة القدماء لا يصح في نساطرة ايَّامنا من بعد دخول البروتستانت عندهم لا لانهم قدروا ان يجذبوهم الى اضاليلهم فانهم قد اختبروا ان ذلك ضربٌ من المحال لما بين المذهبين من البُعد الشاسع وان بذلوا لترويج غايتهم المصاريف الباهظة لكن لانهم افسدوا ضمائرهم وحملوهم البغضة للكنيسة الرومانية واحبارها كما هي شيمهم وحسبهم ان يصدوهم عن الانضواء تحت راية رومية

كنيسة المسيح معترفين برئاسة الاحبار الرومانيين عليهم وعلى سائر الكنائس وملقبينهم باشرف واسمى الالقاب. قال ربان آرام في رسالته الموجهة الى انوشنسيوس الرابع سنة ١٢٤٧ نيابةً عن البطريرك سبريشوع الخامس: « الى ابي الآباء زينة الرعاة المتولي كرسي الطوباوي بطرس سيدي الكلي القداسة بابا رومية وجميع اقاليم العالم (ص ١) وكتب يابالاها الثالث سنة ١٣٠٤: « الى الاب المتعالي بالقداسة نائب سيدنا يسوع المسيح على الامة المسيحية كلها الجالس على كرسي الطوباوي بطرس الرسول راعينا ابي الآباء البابا بندكتوس الحادي عشر... أننا نقرّ بان الحبر الروماني هو الاب العام على جميع مؤمني المسيح وهو خليفة الطوباوي بطرس النائب العام ليسوع المسيح على جميع ابناء الكنيسة شرقاً وغرباً ومحبته راسخة في قلوبنا (ص ٨) » — وفي رسالة سنهادوسيَّة موقعة باسم البطريرك شمعون دنحا ومطارينه الاثني عشر في سنة ١٥٨٠ الى البابا غريغوريوس الثالث عشر يقولون: « انت في الابوّة بمثابة الجنس الاعلى الذي لا جنس فوقهُ ومنهُ تشتقُّ انواع الرئاسات كلها في الكنيسة فانت ابو الآباء وعظيم الرعاة وشمس الكنائسيين ونور المسيحية » (ص ٨٨). وكتب شمعون الخامس البطريرك النسطوري الى اقليميس العاشر ١٦٧٠: « الى ابي الآباء وسيد الرعاة بطرس زماننا وبولس عصرنا تاج الرسولية وشمس التعليم الطاهر السرافيم المجسم والملاك المتجسد اللابس ايفود رئاسة كهنوت يسوع ومالك ومدبّر كرسي المسيحيَّة الارثذكسيَّة... فلمَّا رأى سيِّدُهُ صِدقهُ جعلهُ خليفةً ومدبّرًا ورئيساً واجلسهُ على الكرسي البطرسي المجيد وهو راس جميع الآباء نيابةً عنهُ (ص ٢٠١) »

هذا ولو اردنا ان نورد كل ما بين يدينا من الشواهد لطال بنا الشرح فنختم مستلفتين ألحاظ ذوي الالباب الى هذا الحادث الغريب وما ينجم عنهُ من البرهان الساطع على قدميَّة اعتقاد الكنيسة المسيحيَّة برئاسة الاحبار الرومانيين خلاف ما يذهب اليهِ اولو الاغراض الذين يزعمون انَّ اساقفة رومية ادَّعوا لنفوسهم هذه السلطة زورًا ارشد الله كل الضَّالين وهداهم الى سواء السبيل. امين